



لفضيلة الشيخ الدكتور

سامي بن محمد الصقير

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين



الشيخ لم يراجع التفريغ



للإعــلام بالأخطاء الطباعيــة والاستدراكـات
والاقتراحات يرجى المراسلة على البريد التالي:

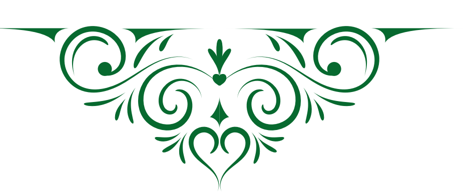
shadharat42@gmail.com

shadharat42 shad_harat42

+213673511001







لفضيلة الشيخ الدكتور

سامي بن محمد الصقير

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

النسخة الأولى



الحمد لله ربِّ العالمين، وأصلي وأسلم على نبينا محمَّد، وعلى آله وأصحابهِ وأتباعهِ بإحسانٍ إلى يوم الدّين.

أمَّا بعدُ:

فقد ثبتَ في صحيحِ مسلم من حديثِ أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أن النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤمِنٍ كُرْبَةً مِن كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِن كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللّهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِن بُيُوتِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ يَتْلُونَ كتَابَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ».

❁ هذا الحديث العظيم دعا فيه النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إلى خصالٍ حميدةٍ، وأفعال خير جليلةٍ:

❁ **أولًا:** قال عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «مَن نفَّسَ عن مُسلم» وفي رواية: «مَنْ فَرَّجَ» **فمعنى**: نَفَّسَ **أي**: أزَالَ وفَرَّجَ وكَشَف، «عن مسلمٍ كُربةً» **والمسلم**: هو الّذي يشهد أن لا إله إلّا الله وأنَّ محمَّدًا رسول الله، وأتى بمقتضى هاتين الشّهادتين. **هذا هو تعريف المسلم**: هو الذي يشهد أن لا إله إلّا الله، وأنَّ محمَّدًا رسول الله، وأتى بمقتضى هاتين الشّهادتين. فلا يكفي أن يقول

الشَّـــهادتين بلســـانه من غير أن يعمل؛ لأنَّ مقتضـــى الشَّـــهادتين أن تتعبد لله عَزَّوَجَلَّ.

۞ يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «مَن نَفَّسَ عن مُســـلِمٍ كُرْبـةً» والكُربـة: هي الشِدَّة العظيمة الّتي تُوقع صاحبها في الهمِّ والغمِّ.

«نفَّسَ اللهُ عنه كُرْبَةً مِن كُرَبِ يومِ القيامةِ»: وهنا الرّســـول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أطلق في الحـديـث ولم يعين أو يقيـد كيف يكون تنفيس الكربـة فقـال: «من نَفَّسَ»، وفي لفظ: «من فَرَّجَ».

فتنفيس الكُرْبَة قد يكون:

- بالقول.
- وقد يكون بالفعل.
- وقد يكون بالمال.
- وقد يكون بالجاه.
- وقد يكون بغير ذلك.

- **فقد يكون تنفيسُ الكُرْبَةِ بالقول**: بأن تصـــبره، وتأمره بالاحتســـاب أن يحتســـب الأجر عند الله عَزَّوَجَلَّ وتُبيِّن له ما في صـــبره واحتســـابه من الثّواب والأجر.

- **وقد يكون تنفيس الكرب بأن تعطيه من المال** ما يحصـــل به تفريج الكربة كما لو حصـــل عليه دين، أو وقع عليه تلف بحيث يضـــمن هذا التَّلف بمال؛ فإنَّك تُعطيه من المال ما يحصل به هذا التنفيس.

◆ **وقد يكون التنفيس بالجاه** تبذل من جاهك ومن شـــفاعتك ما يكون سببًا لتفريج هذه الكربة.

◆ **وقد يكون التَّفريج بالفعل** بأن تعِينه فعلًا إذا كان يحتاج إلى مســـاعدة في تنفيس كربته وتفريجها.

قـال: «**نفَّسَ اللهُ عنـه كُرْبَـةً مِن كُرَبِ يومِ القيـامـةِ**». وتـأمـل هنـا النّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يقل نَفَّسَ اللهُ عنه بها كُرْبَةً مِن كُرَبِ الدُّنيا والآخرة؛ وإنَّما قال «**نفَّسَ اللهُ عنه كُرْبَةً مِن كُرَبِ يومِ القيامةِ**»، وذلك لأنَّ كُرَب يوم القيامة بالنسبة للدُّنيا ليست شيئًا.

۞ ثمَّ قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**ومن يسَّرَ على مُعسرٍ في الدُّنيا يسَّرَ اللهُ عليهِ في الدُّنيا والآخرةِ**». **المُعســـر**: هو الذي عليه دين وتعســـر عليه أداؤه، هذا هو المُعسر من كان عليه دين وتعسر عليه أداؤه.

والتيسير على المُعسر يكون بأمور:

◆ **أوَّلًا**: أن يُبْرئه من الدَّين، بأنَّ يقول له قد أبرأتك وسامحتك.

◆ **وثانيًا**: أن يُســـقط عنه بعض الدَّين فإذا كان الدَّين مثلًا: عشـــرة آلاف أسقط عنه بعضها، إمَّا خمسة أو أربعة حسب ما تيسر.

◆ **ثالثًا**: إنظاره **يعني**: أن يُنظِره، فإذا كان الدّين حالاً فإنّه يُنظِره يعني يؤجل والإنظار واجب. ولهذا قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة:٢٨٠]؛ فمن كان له دين على مُعْسِـــر؛ فإنَّه لا يجوز له طلبه ولا مطالبته، لا يجوز له أن يطلبه ولا أن يطالبه **يعني**: أن يرفعه إلى الحاكم، بل الواجبُ أن يُنْظِرَه.

◆ **رابعًا**: يكون أيضًا التيسير على المُعْسِر؛ بأن يعطيه من مال الزكاة ما يوفي به هذا الدين. فيعطيه من الزكاة لأنّه مستحق للزكاة، وقد جعل الله عَزَّوَجَلَّ الغارمين صنفا من الأصناف الذين يستحقون الزكاة، والذين تُدفع إليهم الزكاة. كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ﴾ [التوبة:٦٠]؛

والغارمون: جمع غارِمْ وهو من لزمه الغُرْم وهو الدّين.

يقول النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**يسَّرَ اللهُ عليهِ في الدُّنيا والآخرةِ**» **أي**: أنّ الله عَزَّوَجَلَّ يسهل أموره في الدّنيا وفي الآخرة، فلا يتوجه إلى أمر إلا يسر الله له هذا الأمر.

۞ **ثُمَّ قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ**: «**ومَن سترَ مسلِمًا، سترَهُ اللهُ في الدُّنيا والآخرةِ**». **السَّتر**: **بمعنى التَّغطية ومعنى**: «**مَن سترَ مسلِمًا**» **أي**: غطى عيوبه وسترها.

والعيوب نوعان:

◆ عيوبٌ تتعلق بالخِلْقَة.

◆ وعيوبٌ تتعلق بالخُلُقْ.

◆ **أمّا العيوب المتعلقة بالخِلْقَة**: وهي ما خلقه الله عَزَّوَجَلَّ عليه فسَترُها محمودٌ بكل حال، فإذا علمت أنّ في أخيك عيبًا في خِلقَتِه أنّ فيه برصًا أو جذامًا أو نحو ذلك من الأمراض؛ فإنّك تستره، وسَتره محمود بكل حال وجزاء ذلك أنّ الله تعالى يستر عليك في الدّنيا والآخرة، ومن ذلك أن ترى

عورته بادية فسترها، هذا بالنسبة لستر العيوب المتعلقة بالخِلْقَة فسترها محمودٌ بكل حال.

◆ **أمّا النوع الثّاني** من العيوب **وهي العيوب المتعلقة بالخُلُق**، والفرق بينهما أنّ الخِلْقَة: هي الصُّورة الظّاهرة، والخُلُقْ: هي الصُّورة الباطنة؛ فالإنسان له صورتان صورة ظاهرة وهي الخِلْقَة التي خلقه الله عَزَّوَجَلَّ عليها: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين: ٤]؛ **وأمّا الخلق**: فهو الصورة الباطنة، وهي ما يكون عليه من الأخلاق.

قلنا النوع الثاني من العيوب: العيوب المتعلقة بالخُلُق، وهذه بالنسبة للسَتر على أقسام ثلاثة:

● **القسم الأوّل**: أن يكون هذا العيب المتعلق بالخلق قد صدر من شخص معروف بالاستقامة. على دين الله عَزَّوَجَلَّ، ومعروف بحسن الخلق ولكن أزّه الشيطان وأغواه الشيطان حتى فعل ما فعل من الذنوب والمعاصي؛ فإنّك في هذه الحال تستره حتى لو كان ما فعله شرب خمر، أو زنا، أو غيره فإنَّك تستره وإذا سترته ستر الله عليك في الدنيا والآخرة.

● **والقسم الثّاني**: أن يكون هذا العيب المتعلق بالخلق أن يكون متعلقا بحقِ الله عَزَّوَجَلَّ. وقد صدر من شخص منهمك في الذنوب والمعاصي، فالذنوب والمعاصي قد تأصلت في قلبه والعياذ بالله فهذا أو فمثل هذا لا يُستر عليه لأنّه في الواقع جُرثومة في المجتمع يجب أن تُجْتَث منه لئلا يكون سببًا لفساد غيره.

● **والقسم الثّالث**: أن يكون العيب المتعلق بالخَلْق يتعلق بحقِ العباد،

كما لو رأيت شخصًا يسرق مال شخص أو يعتدي عليه؛ فإنَّك في هذه الحال لا تستُره لأنّ الواجب أن تدافع عن أخيك المسلم وأن تأخذ بحقهِ، وألا تُمَكِن أحدًا أن يتسلط على ماله أو عِرْضِه.

فتبين بهذا أنّ قول النّبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَن سترَ مسلِمًا» نقول السَّتر يكون فيما يتعلق بالخِلْقَة، وفيما يتعلق بالخُلُق.

أما العيوب المتعلقة بالخِلْقَة فسَترها محمود بكل حال. متى ما رأيت في أخيك عيبًا في خلقته إما في بدنه أو في وجهه أو في قدمه أو في مشيته أو غير ذلك فإنّك تستره.

وأما النوع الثّاني فهي العيوب المتعلقة بالخُلُق، والخُلُق هو: الصورة الباطنة.

۞ **ثمَّ قال النّبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «واللهُ في عَونِ العَبدِ ما كان العَبدُ في عَونِ أخيهِ»** **أي**: أنّ معونة الله عَزَّوَجَلَّ للعبد بقدر معونته لأخيه، وهذه اللفظة أو الجملة يرويها بعضهم بقوله: **«والله في عون العبد ما دام العبد عون أخيه»**. فيقولون بدل **«ما كان»** **«ما دام»**، وهذا لا يصح.

☜ **أوّلًا**: أنَّه مخالف للفظ الوارد عن الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنَّ اللّفظ الوارد في الحديث هو **«ما كان»** وليس **«ما دام»**. والمحافظة على الواردة في الحديث هو الواجب متى ما أمكن.

☜ **وثانيًا** أنّ لفظ **«ما كان»** يدل على أنَّ معونة الله عَزَّوَجَلَّ للعبد تكون بمجرد معونته لأخيه ولو لم يستمر، بخلافِ لفظ ما دام فإنَّ لفظ **«ما دام»**

يدل على أنَّ معونة الله تعالى للعبد «**ما دام**» معينًا لأخيه؛ لأنَّ «**ما دام**» ما مصدرية ظرفية أي مدة دوامه معينا لأخيه. فما دام معينا فعون الله يأتيه، وإذا انقطعت إعانته لأخيه انقطعت إعانة الله تعالى له بخلاف لفظ «**ما كان**».

☜ **الوجه الثالث**: أنَّ لفظ «**ما كان**» يدل على أنَّ معونة الله تعالى للعبد تكون من جنس معونته لأخيه، بخلاف لفظ «**ما دام**» فتبين أنّ قول النّبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**واللهُ في عَونِ العَبدِ ما كان العَبدُ في عَونِ أخيهِ**» أنّ هذا اللفظ هو الوارد، وأن ما يرويه بعض الناس وما يتناقلونه من قولهم «**والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه**» أن هذا لا يصح.

۞ **ثمَّ قال النّبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ومَن سلَكَ طريقًا يلتَمِسُ فيهِ علمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طريقًا إلى الجنَّةِ**».

قال: «**ومَن سلَكَ طريقًا يلتَمِسُ فيهِ علمًا**».

سلوك الطريق لنيل العلمِ الشرعي على نوعين:

◈ **النوع الأول**: أن يسلك الطريق الحسي الذي تقرعه الأقدام وذلك أن يمشي بقدميه ويحضر حلق العلم ومجالس العلم.

◈ **والنوع الثاني**: أن يسلك الطريق المعنوي الذي تقرعه الأفهام، وذلك بمطالعة كتب العلماء ومراجعتها ومُدارستها وحفظها، وكل هذا داخل في قول النّبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «**مَن سلَكَ طريقًا يلتَمِسُ فيهِ علمًا**».

والطريق الأوَّل **أعني**: سلوك الطريق الحسي الذي تقرعه الأقدام أولى من الطريق الثاني **بمعنى**: أنّ نيل العلم بحضور حِلَق العلم ومجالس العلماء أولى للإنسان من أن يتعلم العلم عن طريق الكتب.

◆ **أوَّلًا**: لأنّ حضــور مجالس العلم فيه خير وأجر، كما يأتي في قول النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**وما اجتمعَ قومٌ في بيتٍ من بيوتِ اللهِ، يَتلونَ كتابَ اللهِ، ويَتدارسونَهُ بينَهُم، إلّا حفَّتهمُ الملائِكَةُ، ونزَلت عليهِمُ السَّكينةُ، وغشيتهمُ الرَّحمةُ، وذَكَرَهُمُ اللهُ فيمن عندَهُ**»، فيحصل على الأجر والثواب.

◆ **وثانيًا**: أنّه أثبتُ للعلم. فحضــور مجالس العلم وحِلَق العلم أثبت في العلم من قراءة الكتب.

◆ **وثالثًا**: أنّه أسلمُ من الخطأ؛ فإنّ الذي يتعلم العلم عن طريق قراءة الكتب لا يسلم من الخطأ، فقد يخطئ في الفهم بخلاف الذي يتلقى العلم عن العلماء؛ فإنّهم يعلمونه ويفهمونه ويزيلون عليه ما يحصل من الخطأ والالتباس.

◆ **ورابعًا**: أنّه أقصر في المدة؛ لأنَّ الّذي يريد أن يتعلم العلمَ عن طريق الكتب. يحتاج إلى مدة، مثلًا: لو أردت أن تعرف أحكام سجود السهو تحتاج أن تقرأ كتبًا كثيرة، وأن تعرف كلام العلماء، ما مذهب أبي حنيفة؟ وما مذهب الشافعي؟ وما مذهب مالك؟ وما مذهب أحمد؟ وما حكم هذه المسألة؟ والتفصيل والتقعيد فيها كل هذا يحتاج إلى زمن طويل. وربما أيضًا تقرأ وتقع في الخطأ، بخلاف الذي يتلقى عن عالم فالعالم يختصر لك ذلك اختصارًا؛ لأنّه يقرأ هذه الكتب ويلخصها لك.

◆ **خامسًا**: أنّ فيه ارتباطًا بالعلماء، فارتباط طلبة العلم بالعلماء أمر مهم؛ لأنَّه يحصل به مع العلم التَّوجيه والتَّعليم والتَّأديب، فأنت كما تستفيد من

العالم علمًا تستفيد أيضًا من آدابه وأخلاقه ومنهجه وسلوكه، وربّما كانت استفادتك من أدبه وأخلاقه ومنهجه وسلوكه ربَّما كان ذلك أكثر من استفادتك من علمه.

◆ **سادسًا**: أنَّ في تَلقي العلم أو في أخذ العلم عن العلماء مشافهةً ومباشرةً؛ أنَّ فيه المناقشة والأخذ والرَّد وحينئذٍ يتفتَّق ذهنه وتتوسع مداركه بخلاف الّذي يقرأ العلم عن طريق الكتب، وفي كلٍ خير ولكن تعلم العلم عن طريق العلماء ومجالسة أهل العلم هو الخير والبركة.

۞ **ثمَّ قال النّبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِن بُيُوتِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ يَتْلُونَ كتابَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**».

قال: «**ما اجتمعَ قومٌ في بيتٍ من بيوتِ اللهِ**»؛ **لفظ القوم**: يدخل فيه الرجال والنِّساء. ولهذا قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الأعراف:٥٩]؛ **فلفظ القوم**: يدخل فيه الرِّجال والنساء. وقد يراد به الرِّجال فقط، كما في قول النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلَاةِ فَتُقَامَ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ، فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ**». فقول **إلى قوم** المقصود: الرِّجال وكذلك أيضا يراد به الرّجال إذا كان في مقابل النِّساء كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ [الحُجُرات:١١]؛ فالمراد بالقوم هنا: الرِّجال. بدليل قوله المقابلة: ﴿وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّ﴾

[الحُجُرات:١١].

يقول: «وَما اجْتَمع قَوْمٌ في بَيْتٍ مِن بُيُوتِ الله» بيوت الله عَزَّوَجَلَّ هي: المساجد ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور:٣٦،٣٧].

يقول: «ما اجْتَمع قَوْمٌ في بَيْتٍ مِن بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتابَ اللهِ» يتلون أي: يقرؤون كتاب الله وهذا النوع من التلاوة **أعني**: قوله يتلون كتاب الله يشمل:

- التّلاوة اللفظية.
- والتّلاوة المعنوية.
- **فالتّلاوة اللفظية**: قراءة القرآن لفظًا.
- **والتّلاوة المعنوية**: هي تفهم المعاني واستنباط الأحكام ومعرفة أحكام القرآن.

وذلك أنَّ تلاوة كتاب الله عَزَّوَجَلَّ على أقسامٍ ثلاثة:

- **القســم الأوَّل** التّلاوة اللّفظية: بأن يقرأ القرآن لفظًا، سـواء قرأه من المصــحف، أم قرأه عن ظهر قلـب، وفيهـا ثوابٌ عظيم وأجرٌ جزيـل، ففي حديث بنِ مســعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنّ النّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «مَن قَرأ حَرفًا مِن كِتابِ اللهِ فله حَسَـنةٌ، والحَسَـنةُ بعَشَـرةِ أمثالِها، لا أقولُ ﴿الٓمٓ﴾ حَرفٌ، ألِفٌ حَرفٌ، ولامٌ حَرفٌ، وميمٌ حَرفٌ».

- **النوع الثَّاني من أنواع تلاوة القرآن**: التِّلاوة المعنوية، وهي: تـدبر

القرآن وتعقله، **والتّدبر معناه** التّأمل في الألفاظ للوصـول إلى معانيها. هذا معنى التّدبر. التّدبر هو التّأمل في ألفاظ القرآن للوصول إلى معانيها.

وهذا القرآن قد أنزله الله عَزَّوَجَلَّ بالتّدبر والتّفكر والتّعقل ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص:٢٩]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [محمد:٢٤] فعلى المؤمن أن يحرص على تدبر القرآن وعلى تعقله.

۞ **والتدبر والتعقل لا يمكن أن يحصـل منه المقصـود** إلا بعد فهم المعنى؛ فالإنسـان مهما حاول أن يتدبر القرآن وهو لا يعرف معاني القرآن لا يمكن أن يحصـل التّدبر الكامل، ولذلك كان لزامًا على من أراد أن يتدبر القرآن وأن ينتفع بالقرآن غايةَ الانتفاع أن يتفهم معانيه، وذلك بالرجوع إلى كتب التفسير الموثوقة التي ألفها العلماء الذين يوثق بعلمهم ودينهم وعقيدتهم ومنهجهم وفكرهم.

● **النوع الثَّالث من أنواع التّلاوة:** التّلاوة العملية، وهي الثَّمرة والغاية والنتيجة وهي العمل بالقرآن، فأنت تتلو القرآن وتتدبر القرآن وتتفهم معانيه ثم تعمل بذلك، فمثلًا: إذا سـمعت الله عَزَّوَجَلَّ في قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التوبة:١١٩].

- فلتكن صادقًا مع الله تعالى بإخلاصك لله في عبادته.
- ولتكن صادقًا مع رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في حسن اتباعه.
- ولتكن صادقًا مع نفسك على الخير وزجرها عن الشر.

- ولتكن صادقا مع غيرك.

فالصِّـــدق هنا: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التوبة:١١٩] **أي:** الصَّادقين في عبادة الله. وفي اتباع رسول الله. وفيما يتعلق بأنفســكم وفيما يتعلق بغيركم. ولهذا قال ابن مســعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**إذا سمعت الله يقول يا أيُّها الَّذين ءامنوا فأرعها سمعك أرعها سمعك أي أصغي إليها فإمَّا خيرٌ تؤمر به وإمَّا شرٌ تنهى عنه**» فإذا سمعت الله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ٧٠﴾[الأحزاب:٧٠] هذا خيرٌ تؤمر به.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾[الأنفال:٢٧]. هذا شرٌ تنهى عنه.

هـذه هي الأنواع الثَّلاثـة من أنواع تلاوة القرآن، فتلاوة القرآن تكون: تلاوة لفظية، وتلاوة معنوية، وتلاوة عملية.

وهذه الأنواع الثَّلاث من التِّلاوة هي التي كان عليها سـلف هذه الأمة من الصــحابة ومن بعدهم قال أبو عبدالرحمن السُّـلميّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حدثنا الذين كانوا يقرؤوننا القرآن كعثمان بن عفان وعبدالله بن مســعود أنّهم كانوا إذا تعلموا من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **عشــر آيات يتجاوزوها حتى يتعلموها وما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن، والعلم، والعمل جميعا**».

تعلمنا القرآن لفظًا: هـذا التلاوة اللفظيـة. والعلم: هـذا التـدبر والتعقـل والعمل: هذا النوع الثالث وهو التلاوة العملية.

إذن: هذه الأنواع الثلاث من التلاوة مأخوذة من عمل السـلف الصـالح.

فليست بدعًا من القول. ولهذا قال: «**فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا**».

۞ **يقول النّبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَما اجْتَمع قَوْمٌ في بَيْتٍ مِن بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتابَ اللهِ، وَيَتَدارَسُونَهُ بيْنَهُمْ» **يعني**: يتدارسون القرآن فيما بينهم إمَّا لفظًا وإمَّا معنى فأمَّا لفظًا **بمعنى**: أن يقرأ هذا تارة وهذا تارة، وأما معنًا **بمعنى**: بأن يجتمعوا للتدبر والتَّفكر واستنباط الأحكام الشَّرعية من هذا القرآن العظيم.

قال: «وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ».

◆ **هذا الأوَّل**: والسَّكينة: هي الطمأنينة في القلب والرَّاحة في النَّفس؛ لأنَّ كتاب الله عَزَّوَجَلَّ أعظم ذكر وأشرف ذكر، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرعد:٢٨] فذكر الله عَزَّوَجَلَّ سببٌ لطمأنينة القلوب والقرب من علام الغيوب، فالقرآن العظيم تدارسه وقراءته سبب لنزول السَّكينة: وهي الطُمأنينة في القلب، والانشراح في الصدر؛ لأنّه أعظم سببٍ لانشراح الصدور، ولينها، والاتعاظ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨﴾ [يونس:٥٧]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر:٢١] فإذا كان الجبل كما قال عَزَّوَجَلَّ على الجبل إذا كان الجبل مع صلابته وقوته يتصدَّع، فما بال قلوبنا التي هي مضغة؟ كما قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ

مُضْــغَةً»، **والمُضــغة هي** القطعة من اللّحم بقدر ما يُمضــغ. تجد هذا هذه القلوب التي هي بقدر ما يُمضغ من اللّحم تجد فيها بقدر ما يُمضَغُ من اللَّحم تجد فيها عتوًا وقسوةً واستكبارًا وحقدًا وحسدًا إلى غير ذلك.

إذن: من فوائد تدارس القرآن:

◆ **أولًا:** نزول السَّــكينة «**إِلّا نَزَلَتْ عليهم السَّــكِينَةُ**» وهي الطمأنينة التي تكون في قلوبهم والانشراح الذي يكون في صدورهم.

◆ **ثانيًا:** «**وَغَشِــيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ**» **أي:** غطتهم الرَّحمة. وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾ [الأعراف:٥٦].

◆ **ثالثًا:** «**وَحَفَّتْهُمُ المَلائِكَةُ**» **أي:** أحاطت بهم إجلالًا وإكرامًا وتعظيمًا.

◆ **رابعًا:** «**وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَن عِنْدَهُ**» **أي:** أثنى عليهم سُبْحَانَهُوَتَعَالَى فيمن عنده وقد قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَى في الحديث القدسي: «**ومن ذكرَني في ملإٍ ذكرتُهُ في ملإٍ خيرٍ منه**».

❁ **ثُمَّ قال النّبي** صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**وَمَن بَطَّأَ به عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ به نَسَبُهُ**» من بطَّأ به عمله أي: قصر عمله، وحصل منه تقصير في العمل؛ فإنَّ هذا التقصير لا يُجبَر بالنســب؛ لأنَّ العمل هو الذي ينفعك عند الله عَزَّوَجَلَّ قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ [الأحقاف:١٩]. فالعمل هو الذي يدنيك ويقربك إلى الله عَزَّوَجَلَّ. ولهذا قال الله: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١﴾ [المؤمنون:١٠١]. فالنســب لن ينفعك؛ وإنَّما الذي ينفعك هو عملك الصالح. ولهذا قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ

عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف:١١٠]؛ وهذه الآية الكريمة في قوله: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الكهف:١١٠]؛ فيها حثٌّ على العمل الصالح، ولهذا يُخطئ بعض الوعاظ حينما يعظون النّاس ويذكرونهم بما يكون يوم القيامة وبما يحصل فيها من الأحوال والأهوال، فلا تجدهم يحثون النّاس على الأعمال الصالحة، **يعني**: تجد أنَّه يعظ من أمامه ويذكرهم ويخوفهم حتى إنَّ بعضهم ربّما بكى من شدة الموعظة ومع ذلك لا يذكرهم بالعمل الصالح، هذه الموعظة في الواقع لا فائدة منها؛ **لأنّ الموعظة إذا لم تُقرن بالعمل لم يكن لذلك فائدة. بُكاؤك وخشيتك لن تنفعك إذا لم تقرن ذلك بعمل**. ولهذا قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا﴾ [الكهف:١١٠] وقال: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ [الأحقاف:١٩] فعلى الإنسان أن يحرص على العمل الصالح، وأن لا يعتمد أو يتكئ على نسبه أو على ما له من الجاه أو ما له من المنزلة في الدنيا؛ فإنَّ ذلك لن يجزي شي ولن ينفعه عند الله شيئًا. ولهذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، مَدْفُوْعٌ بِالأَبْوَابِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَره**» «**رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ**». **يعني**: رجل أشعث. أغبر في شعره شعث وغبرة. «**مَدْفُوْعٌ بِالأَبْوَابِ**» **يعني**: أنّه يطرق أبواب النّاس ولا يفتحون له ولا يلقون له بالًا. «**لو أقسمَ على اللهِ**» لأبرَّ الله عَزَّوَجَلَّ قسمه بما عنده من التُّقى والصَّلاح في عملهِ وفي تقربهِ إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

فهذا الحديث اشتمل على مسائلٍ وفوائد منها:

❍ **أوّلًا**: الحثُ على هذه الخصال الحميدة وهي: تفريج الكربات،

والتيسير على المعسرين، وستر عوراتهم.

❍ ومنها **أيضًا** فضيلة الإعانة، فضيلة إعانة إخوانك المؤمنين، وأنّك إذا أعنتهم؛ فإنّ الله عَزَّوَجَلَّ يُعينك. لقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: **«واللهُ في عونِ العَبدِ ما دامَ العبدُ في عونِ أخيهِ»**.

❍ وفيه **أيضًا** دليل على فضيلة العلم الشرعي، لقوله: **«ومنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لهُ بِهِ طريقًا إلى الْجنّةِ»**. **أي**: أنَّ العلم الشرعي سبب لدخول الجنَّة، لأنَّ بالعلم يعرف العبد كيف يعبد ربه، كيف يتطهر، كيف يصلي، كيف يصوم، كيف يحج، كيف يبيع، كيف يشتري، كيف يتزوج، كيف يطلق. كل هذه الأمور تتوقف على العلم، ولهذا كان العلم سببا لدخول الجنة. **«ومَن سلَكَ طريقًا يلتَمسُ فيهِ عِلمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طريقًا إلى الجنَّةِ»**؛ لأنَّ طالب العلم يعرف كيف يعبد الله عَزَّوَجَلَّ، وذلك بالإخلاص له والمتابعة لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيحقق الإحسان في عبادة الله إخلاصًا ومتابعةً؛ ولأنَّ علمه يدعوه إلى خشية الله، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨].

❍ فهذا الحديث فيه حثٌّ على العلم الشَّرعي، والعلم الشَّرعي -أيّها الإخوة- من أفضل العبادات وأجلِّ الطَّاعات، فأفضل ما يتقرب به الإنسان إلى الله عَزَّوَجَلَّ بعد آداء الفرائض هو العلم الشَّرعي، فدرجته عالية ولهذا عن عبد الله بن المُبارك رَحِمَهُ اللَّهُ:**«أنه قال لا أعلم درجةً بعد النّبوة أفضل من تعليم النّاس العلم»**. النبوة هي أعلى المراتب وأعلى الدرجات، ما الذي يلي هذه

المرتبة؟ هي تعليم النّاس للعلم. بل أنّ الأنبياء الكرام -عليهم الصلاة والسلام- لم يورثوا درهمًا ولا دينارًا. وإنّما ورثوا العلم كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم:٦] يرث يعني علما ونبوة. ويرث من آل يعقوب. وكما قال النّبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أو أخبر: «**إنَّ الأنبياءَ لَم يورِّثوا دينارًا ولا درهَمًا، إنَّما ورَّثوا العِلمَ**» فحري بنا أيّها الإخوة أن نحرص على العلم الشّرعي وأن نتأدب بآدابه.

فمن أعظم آداب العلم الشَّرعي:

❍ **أولًا:** الإخلاص لله تعالى في طلب العلم أن تطلب العلم مخلصًا لله عَزَّوَجَلَّ.

❐ مسألةٌ: فإذا قال قائل: **كيف أحقق الإخلاصَ في طلب العلم؟**

فالجواب أنَّ الإخلاص في طلب العلم يتحقق بأن تنوي بطلبك للعلم أمورًا:

☜ **أولًا:** أن تنوي رفعَ الجهلِ عن نفسك. لأنَّك جاهل من حيث الأصل. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل:٧٨]؛ فتنوي أن ترفع الجهل عن نفسك لأجل أن تتعبد لله عَزَّوَجَلَّ على علمٍ وبصيرة.

☜ **ثانيًا:** تنوي رفعَ الجهلِ عن غيرك. فإذا رفعت الجهل عن نفسك، ارفع الجهل عن غيرك، بتعليم الجاهلين.

☜ **ثالثًا:** أن تنوي بطلبك للعلم الدَّعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ لأن الدَّعوة إلى الله تعالى لا تتم إلَّا بالعلم. كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ

﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ [يوسف:١٠٨] فلابد في الدّعوة إلى الله من بصيرة، بصيرة فيمن يدعو، وبصيرة فيما يدعو إليه، وبصيرة في الوسيلة التي يوصل بها هذه الدعوة. فلابد من ثلاث بصائر.

رابعًا: أن ينوي بطلبه للعلم الدِّفاع عن شريعةِ الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن شريعة الله لن يدافع عنها إلَّا حملتها، أرأيت لو أنَّ شخصًا من أهل البدع دخل مكتبةً مليئةً بكتب السلف الصالح من أهل السنة والجماعة مليئةً بكتب العقيدة، وصار يتكلم في الإسلام ويقدح في دين الله ويورد الشبه ونحو ذلك من الأمور، هل سيقفز كتابًا من هذه الكتب ويرد عليه؟ الجواب: لا، لكن لو كان عالمٌ أو كان هناك طالب علم ستجد أنّه يرد على هذا المبتدع بدعته.

إذن: هذه أربعة أمور ينبغي لطالب العلم أن يستحضرها عند طلبه للعلم.

ثانيًا: من الآداب أيضًا أن يبذل جهده وطاقته في طلب العلم الشرعي، فالعلم الشرعي يحتاج إلى صبرٍ ومصابرة وجهادٍ ومجاهدة. ولهذا قال بعض السلف: «**العلم إن أعطيتهُ كلّك أدركتَ بعضه، وإن أعطيتهُ بعضكَ فاتك كلّه**». فلو أنك فرغت وقتك ليل نهار للعلم الشرعي فلن تدرك العلم ستدرك بعضه. كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء:٨٥].

وهذا عام في العلم الشرعي وغيره، حتى في علوم الفيزياء والكيمياء والإحياء وغيرها وعلوم الأرض والجُيولوجيا مهما بلغ الإنسان فيها من العلم فما بلغه هو قليل لعموم قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾[الإسراء:٨٥].

○ **ثالثًا**: أن يحرص في طلبه للعلم على العمل بالعلم، أن يحرص على العمل بعلمه؛ لأنَّه لا فائدة من العلم بدون عمل، فيحرص على تطبيق ما تعلمه.

إذا حرص على تطبيق ما تعلمه حفظ علمه واتقى الله عَزَّوَجَلَّ فيورثه الله علم ما لم يعلم. متى عمل بعلمه حفظ العلم.

أضرب لذلك أمثلة:

من المعلوم أن مثلًا دعاءُ الاستفتاح ورد عن النّبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على صفات متعددة «**سُبحانَكَ اللهُمَّ رَبَّنا وبِحمدِكَ**» «**اللَّهُمَّ باعِدْ بيني وبين خَطاياي**» «**وجهتُ وجْهي**»، إذا كان طالبُ العلم أحيانًا يأتي بهذا الذِّكر أو بهذا الاستفتاح وتارةً يأتي بهذا الاستفتاح وتارةً يأتي بهذا الاستفتاح؛ فإنّه يحفظ هذه الاستفتاحات ولا ينساها، لكن إذا كان يقتصر على نوع واحد تجد أنَّه ينسى البقية. فحينئذٍ يحرص على تطبيق ما علم من العلم، فإذا حرص على تطبيق ما علم من علم استفاد:

◈ **أولًا**: أنّه حَفِظَ علمه.

◈ **وثانيًا**: أنّ الله عَزَّوَجَلَّ يورثه علمَ ما لم يعلم، ولهذا جاء في الحديث عن النّبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**مَنْ عَمِلَ بِما عَلِمَ ورَّثَهُ اللهُ عِلْمَ ما لَمْ يعلمْ**». وهذا الحديث وإن كان قد يكون في سنده شيء من النَّظر لكن يؤيده قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [محمد :١٧]. وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٢].

◈ **ثالثًا**: أنّ النّاس يثقون به، فثقة الناس تجد أنّها في الذي يحرص على تطبيق العلم، وعلى العمل بالعلم؛ لأنّهم إذا رأوا هذا العالم، أو طالب العلم يُعلم ويُوجه ولكنّه لا يطبق؛ فإنَّهم لا يثقون به. ولهذا قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف: ٣،٤] وكما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ﴾ [البقرة:٤٤] فأنت تحثُ النّاس على أمرٍ من الأمور، ثم لا تبادر بل متى أرشدت النّاس وحثثتهم على أمر من الأمور فكن أوَّل الفاعلين؛ لأنّ النّاس ينظرون إلى العالم وإلى طالب العلم نظرَ الطيرِ في السَّماء. ربّما أنّ الخطأ الذي يقع منه ولو يسيرًا يعتبرونه كثيرًا وعظيمًا. ولهذا ينبغي لطالب العلم بل وللعالم ينبغي له أن يتنبه لهذا الأمر وأن يحرصَ غايةَ الحرص على العمل بما علم حتى يكون ما تعلمه حجةً له عند الله عَزَّوَجَلَّ وحتى يحفظ علمه وحتى يزيده الله عَزَّوَجَلَّ علمًا وهدًى وتوفيقًا. ولأجل أيضًا أن يثق النّاس بقوله.

❍ **ومن آداب طالب العلم أيضًا**: أن يعتني في طلبهِ للعلمِ بالأهمِّ فالأهم، فيبدأ بالأمور المهمة، ومن أعظم الأمور أمر العقيدة أن يتعلم أحكام العقيدة والتَّوحيد فالعقيدة والتَّوحيد شأنها عظيم وأمرها له أهمية عظمى لأسباب:

● **أولًا**: أنّ الله تعالى خلق الخلق لعبادته وتوحيده وطاعته، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات:٥٦] **أي**: ليوحدون، وهذا يدل على أهميةِ العقيدة.

● **ثانيًا**: أنّ الله عَزَّوَجَلَّ أرسل الرُّسل وأنزل الكتب عنايةً بالعقيدة. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء:٢٥]؛ فالرُّسل دعوتهم -عليهم الصَّلاة والسَّلام- من أوَّلهم إلى آخرهم هي تحقيق التَّوحيد، هم متفقون في أصل الدّعوة وهي الدَّعوة إلى التَّوحيد ولكنهم يختلفون في الشَّرائع ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ [المائدة:٤٨].

● **ثالثًا**: مما يدل على أهمية التّوحيد؛ أنَّ التّوحيد والعقيدة يتوقف عليها قبول الأعمال وصحتها. فقبول الأعمال وصحة الأعمال تتوقف على العقيدة. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥﴾ [الزُّمَر:٦٥]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٨٨﴾ [الأنعام:٨٨].

● **رابعا**: ومما يدل على أهمية العقيدة أنّها أول أمر يُسْأَل عنه الإنسان في قبره. كما أخبر النّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**أنَّ الميِّتَ إذا مات فإنّها تُعادُ رُوحُه إليه في قَبْرِه، ويُسْأَلُ عن ربِّه ودِينِه ونَبيِّه، فيُثبِّتُ اللهُ الَّذين آمَنوا بالقوْلِ الثّابتِ في الحياةِ الدُّنيا وفي الآخرةِ، فيَقولُ المؤمِنُ: ربِّيَ اللهُ، ودِيني الإسلامُ، ونَبيِّي محمَّدٌ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وأمّا الكافرُ أو المنافِقُ فإنَّه إذا سُئِل يقولُ: ها، ها، لا أدْري، سَمِعتُ النّاسَ يَقولون شَيئًا فقُلْتُه**».

هذه الأسئلة الثّلاثة -أيّها الإخوة- عن ربه وعن دينه وعن نبيه. هذه

الأسـئلة منها أخذ الإمام المجدد محمّد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ. رسـالته ثلاثة الأصـول؛ فإنَّ الأصـول الثَّلاثة مأخوذة من هذا **الأصـل الأوَّل**: معرفة العبد نعم ربه.

الأصل الثَّاني: معرفة العبد دينه.

الأصل الثَّالث: معرفة العبد نبيه محمَّدا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

إذن: ينبغي لطالب العلم أن يبدأ بالأهم فالأهم ومن أهم الأمور هو شأن العقيدة، ثم ما يكون فرض عينٍ عليه فيتعلم أحكام الوضوء، أحكام الصلاة، أحكام الصّيام ونحو ذلك مما يحتاجه، ثم يتدرج في العلم شيئًا فشيئًا ولا يروم العلم جملة؛ **لأنَّ من رام العلمَ جملةً ذهب عنه جملة**. بعض الناس بعض طلبة العلم تجد عنده حماس يريد أن يحصِّل العلم في وقت قصير، وهذا لا يمكن بل يستحيل، تجد أنَّه يتشتت ذهنيًا ويتعب بدنه وفكره ثم بعد فترة لا يجد نفسه قد حصَّل شيئًا من العلم، فمن أراد أن يحصِّل العلم فليسلك الطريق الذي سلكه من قبله من العلماء، العلماء الذين سبقونا كيف حصَّلوا العلم، سِرْ على طريقهم حتى تحصل العلم، أما أن يكون الإنسان عنده حماس وشدة في الإقبال على العلم ولكنّها غير منضبطة فهذه أو فهذا ضررهُ عليه أكثر من نفعه.

❍ **أيضًا من الأمور التي يحرص عليها طالب العلم**: أن يحرصَ على الحفظ. فالحفظ هو الخزينة التي يستطيع طالب العلم أن يغترف منها كيفما شاء أو متى شاء.

○ **ومن هذا الحديث أيضًا من فضائله**: فضيلة حِلَقِ العلم ومجالس العلم لقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «ما اجْتَمع قَوْمٌ في بَيْتٍ مِن بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتابَ اللهِ» الحديث

○ **وفيه أيضًا**: فضيلة ذكر الله تعالى لأنَّه سبب لطمأنينة القلوب وسبب قرب من الله عَزَّوَجَلَّ، ولذلك تجد أن من أعظم أسباب ضياع الوقت هو الغفلة عن ذكر الله، أعظم سبب من أسباب ضياع الوقت هو الغفلة عن ذكر الله، تجد النَّاس الآن يمضي عليه الزَّمان ولا ينتج شيئًا. تجد يمضي عليه السَّاعات بل الأيَّام بل الأسابيع بل الشُّهور ولا يجد أنَّه أنتج شيئًا أو حصَّل شيئًا. أو استفاد شيئًا، لماذا؟ نقول لأنّ هذا بسبب الغفلة عن ذكر الله. الدّليل قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ﴾ إيش؟ ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف:٢٨] سبهللًا فالغفلة عن ذكر الله سبب لضَياعِ الأوقات ولهذا تجد أنّ الذي يكثر من ذكر الله سواء من تلاوة القرآن أو عموم الذِّكر يبارك الله عَزَّوَجَلَّ له في وقته فينتج في الزمن القصير والقليل ما لا ينتجه غيره في الزَّمن الكثير. وانظر هذا فيما فيمن سبق من أهل العلم السّابقين واللّاحقين.

○ **وهذا الحديث أيضًا فيه من الفوائد**: العناية بصلاح القلب، أنّ الإنسان ينبغي له أن يعتني بصلاح قلبه، لأنَّ القلب هو الذي عليه المدار، مدار الصَّلاح والفساد. واعلم أنَّ كل زيغ للإنسان فإنّما هو بسبب منه، كل زيغ من الإنسان فهو بسبب زيغ منه أو بسبب منه قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ

﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[الصف:٥] فمتى علم الله عَزَّوَجَلَّ من العبد حسن النِّية وسلامة الطوية وإرادة الخير يسره لليسرى، وجنبه العسرى وسهل أموره ووفقه، وإذا علم منه إرادة الشر فإنّه يكون على خلاف ذلك. فعلينا -أيُّها الإخوة- أن نعتني بصلاح قلوبنا. أن نعتني بصلاح قلوبنا، ومن أعظم ما يُطهّر القلب ويُلين القلب ويُبعد عنه الآفات والشُّرور: هو كتاب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لأنّه شفاء لما في الصدور.

- كذلك الإكثار من ذكر الله عَزَّوَجَلَّ عمومًا.

- وأيضًا الحرص على قيام الليل، والحرص على مجالسة الصَّالحين ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾ [الكهف:٢٨] ولهذا قال الشَّاعر:

دَوَاءُ قَلْبِكَ خَمْسٌ عِنْدَ قَسْوَتِهِ ... فَدُمْ عَلَيهَا تَفُزْ بِالخَيْرِ وَالظَّفَرِ
خَلَاءُ بَطْنٍ، وَقُرْآنٌ تَدَبَّرُهُ ... كَذَا تَضَرُّعُ بَاكٍ سَاعَةَ السَّحَرِ
كَذَا قِيَامُكَ جُنْحَ اللَّيلِ أَوْسَطَهُ ... وَأَن تُجَالِسَ أَهْلَ الخَيْرِ وَالخُبَرِ

ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ خمسة أمور تعين على صلاح القلب:

دَوَاءُ قَلْبِكَ خَمْسٌ عِنْدَ قَسْوَتِهِ ... فَدُمْ عَلَيهَا تَفُزْ بِالخَيْرِ وَالظَّفَرِ
خَلَاءُ بَطْنٍ، ....

خلاءُ بطنٍ يعني: أن تحرص على خلاء بطنك الشبع والرّي قد يحملان الإنسان على الاثم والبطر ومن ثم على الكسل.

.... وَقُرْآنٌ تَـدَبَّرُهُ كَذَا تَضَــرُّعُ بَاكٍ سَــاعَةَ السَّــحَرِ

وَقُرْآنٌ تَدَبَّرُهُ: تدبر القرآن، كَذَا تَضَــرُّعُ بَاكٍ سَــاعَةَ السَّــحَرِ: ﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨﴾[الذاريات:١٨].

كَذَا قِيَامُكَ جُنْحَ اللَّيلِ أَوْسَــطَهُ وَأَن تُجَـالِسَ أَهْـلَ الخَيْرِ وَالخُبَرِ

فنسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يُصلح قلوبنا وأعمالنا،
وأن يهب لنا منه رحمة إنّه هو الوهاب.



الأسئلة:

سؤالٌ: ينصحنا بعض المشايخ بالتركيز على القرآن والسنة وترك ما عداها. ويقولون أن الخير كل الخير في القرآن والسنة. فما رأيكم فضيلتكم أثابكم الله؟

الجواب: نعم هذا صحيح الخير كل الخير في القرآن والسُّنة، ولكن أيضًا فيما ألف العلماء وشرح العلماء كتب العلماء التي ألفوها وصنفوها هي توضيح وشرح للكتاب والسُّنة. فالعلماء حينما يذكرون أحكام الوضوء، أحكام الصَّلاة، أحكام الصِّيام، لم يأتوا بشيء من تلقاء أنفسهم؛ وإنَّما اعتمدوا على ما فهموه من النُّصوص. فمثلًا: في قول النّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يَقْبَلُ اللهُ صَلاةَ أَحَدِكُمْ إذا أَحْدَثَ حتّى يَتَوَضَّأَ» يستفيدون منه:

كتاب أنَّ الطَّهارة شرط لصحة الصَّلاة.

وأنَّ الإنسان إذا صلى بغيرِ طهارة لم تصح الصَّلاة. فهم لم يأتوا ببِدعٍ..

وفق الله الجميع لما يحب ويرضى،
وصلى الله على نبينا.

ألقيت هذه المحاضرة

في الحادي عشر من شهر صفر

سَنَةَ أربعٍ وأربعينَ بَعْدَ الأَرْبَعِمِائَةِ وَالأَلْفِ

بالمسجد النبوي.

